مدخل إلى علم النفس الصدمة

مصطلح الصدمة يحمل معنيين: الأول عنف من أصل خارجي، ضرب، جرح، بتر، و المعنى الثاني هو الصدمة النفسية أي أثر الحدث الصادم.

أول من استعمل المصطلح هو OPPENHEIM طبيب نفسي ألماني سنة 1888 ليصف الأحداث المخيفة التي تؤثر على النفس مثل: الاعتداءات، حوادث السكة الحديدية – الحروب و تأثيرها، أي ما كان يسمى سابقا عصابات الصدمة. حيث أدخل مفهوم الصدمة النفسية في علم النفس المرضي عبر مرجعه حول Névrose Traumatique و الذي تطرق إلى حالات عصاب ناتجة عن حوادث السكة الحديدية، ومنها انشأ مفهوم الصدمة السيكولوجية (نفسية) /Traumatismes psychologiques.

ثم استعمل "شاركو" Charcot هذا المصطلح ليشرح بعض حالات الهيستريا ثم جاء "فرويد" S. Freudبعده ليعمق هذا المفهوم.

– تطور مفهوم الصدمة النفسية:[1]

حسب مدرسة التحليل النفسي: (1895– 1920)

في هذه الفترة تتعلق الصدمة بالحياة الجنسية حيث فسر "فرويد" الصدمة بإغواء يحدث في مرحلة الطفولة و الذي تأثيره يكون بعدي، إلى أنه تراجع عن نظريته بعد ذلك وتكلم عن الهوام (Fantasme) الذي هو العامل الصدمي و الذي يحدث العصاب.

سعدوني مسعودة . 2011 . مصير الأطفال المصدومين من جراء العنف -ماذا بعد التكفل النفسي؟ دار الهدى.

-(1905-1920) يتحدث عن النمو النفسي الجنسي للطفل عبر المراحل و المناطق الشبقية ، و الميتاسيكولوجيا (الجهاز النفسي) ،كما يتحدث عن الهوامات اللاشعورية الأصلية و القلق المتعلق بها و التي تمثل صدامات بالنسبة للفرد. و بالتالي مفهوم الصدمة متعلقة بالواقع النفسي الداخلي.

-انطلاقا من 1920، يتحدث "فرويد" عن التجارب الصادمة التي يتعرض لها الطفل والتي تحدد ضررا مبكرا للأنا وجرح نرجسي.

ساهم Ferenczi (1926- 1933) في التفسير الخاص بالنظرية التحليلية، حيث أدخل تفسير جديد لمثلثات الصدمة لاسيما الذهول (Sidération) الذي يصيب الفرد و الذي يجعله يجند آليات دفاعية خاصة مثل: الانشطار- الاسقاط- التقمص الإسقاطي، و التي يؤثر على التنظيم النفسي و بالتالي يؤثر على الأنا. الأنا يتلقى العديد من الاستثارات الخارجية و يقوم بعملية تصفية (في الجانب الشعوري يترجم و يفسر الاستثارات الخارجية).

يقوم الأنا بتجنيد الآليات الدفاعية بصفة مكثفة ⟵ فيحدث اضطراب مجهول و يقابله في النتيجة عدم حصول توازن و عدم توافق الاستجابة.

حسب علم النفس الكوارثي:/Psychologie des catastrophes

أولت المدرسة الفرنسية الاهتمام بالصدمة الناتجة عن عنف من صنع الانسان "الكوارث الاجتماعية " منذ الثمانينات، حيث ظهرت عدة دراسات حول الصدمة وانعكاساتها فيما سمي بالطب النفسي الكارثي و الطب النفسي للحروب. و يتمحور التركيز على الحادث الصادم و أهمية الصدمة و الهلع و أخيرا الالتقاء مع الموت و يلح الباحثون في هذا الميدان على التمييز بين الصدمة.ن و الضغط الذي يعتبر رد فعل بيولوجي خاص.[2]

[2] نفس المرجع السابق

معايير تحديد الصدمة حسب علم النفس الكوارثي:[3]

1- الحدث الصادم استثنائي، خطر عنيف مفاجئ فضيع مروع و أحيانا مرفوق بالموت الحقيقي للأشخاص و غالبا ما يكون مرفوقا بخطر حقيقي و موضوعي.

2-القلق: العرضية التكرارية مثل الكوابيس المتكررة التي تهدف إلى التحكم و السيطرة على الانتشار.

3- الهلع: بسبب فضاعة الحدث وعدم توقعه من طرف الشخص فإن معاناة الشخص التي تعرض للصدمة لها علاقة بغياب معنى مفهوم الموت وعدم القدرة على تصورها فيكون التصور عن طريق البدائل و عن طريق انتظار الأشياء المستقبلية. بالنسبة لي LEBIGOT لا يظهر القلق بسبب الاختراق أو الكسر و إنما بسبب الهلع و درجه "0" التي يصل إليها الوجدان، أي لا يوجد تصور مسبق يربط بالحادث . عندما يتذكر الأفراد يتحدثون عن العطل و الفراغ، صمت مطلق، ثم يظهر القلق بعد فوات لحظة الذعر في حين تكون الصورة الراسخة تهديد داخلي بالألم.

ملاحظة: CROQ يتحدث عن المواجهة المفاجئة مع الموت الحقيقي دون وساطة النظام الدال أي كلمة لها معنى و لها اتصال مع الحادث العنيف. حيث تظهر أعراض العصاب الصدمي مثل: الكف – التفكك – الانطواء حول الذات – التكرار.

[3] سعدوني مسعودة . 2011 . مصير الأطفال المصدومين من جراء العنف -ماذا بعد التكفل النفسي؟ دار الهدى.

التأثيرات النفسية للصدمة:

المستوى الأول: الصدمة أقل تأثيرا الكارثة الطبيعية.

المستوى الثاني: كارثة بفعل حادثة سببها الانسان دون الرغبة في ذلك.

المستوى الثالث: الحروب و العنف المتعمد .

المستوى الرابع: كوارث معتمدة، حيث تبحث الضحية عن المسؤول لمحاكمته.

المستوى الخامس: تعذيب، اعتداء، رهائن، يكون المعتدي قريب و حاضر و متعمد للتأثير في الآخر، وهذا ما يجعل التأثر أكبر.

الصدمة النفسية عند الطفل:

-**تصنيفTERR** : حاولت "TERR" تحديد المظاهر النفسية للصدمة عند الطفل. فالطفل في مرحلة نمائية وعدم اكتمال الشخصية، العلاقة مع الأم والجو الأسري مهمة جدا كالتعرض لحادث معين وطريقة استجابة الأسرة هي التي تحدث. تحدثت TERR عن خصوصيات **PTSD** عند الطفل من مجموعة من الأعراض:

1- تكرار الذكريات المشاهدة: لعب،رسومات.

2- سلوكات في اللعب متعلقة بموضوع الصدمة، المخاوف، تغيير السلوك تجاه الآخرين. و تضيف TERR تدخل عوامل عدة في تحديد الاضطرابات المتعلقة بالصدمة: سن الطفل- بيئته- نوعية علاقاته السابقة مع الموضوع - مستوى نضج الأنا - الجو العائلي - المستوى المعرفي - شدة وطبيعة الصدمة.

3- كلما كان الطفل صغير أثناء تعرضه للصدمة كلما كان خطر اصابة صورته الجسدية و نموه أكبر.

4- قبل أن يتمكن الأنا من تنظيم نماذج دفاعية كافية ضد القلق، قد تؤدي الصدمة إلى تشكيل سياق ذهاني و سلوكات عدوانية.

ملاحظة: TERR تميز أنماط الصدمة كما يلي :

- **النمط الأول:** أحادية و فريدة و مفاجئة.

- **النمط الثاني:** معتمدة و متوقعة ومتكررة.

-**تصنيف Perry و Schwarz** :

- **عند الرضيع/ مرحلة الطفولة الأولى:** يكون أكثر حساسية لسلوكات و انفعالات محيطه تجاه الخطر.

الأعراض التي يمكن أن نلاحظها: اختلالات في النمو و في التطور النفسي- بكاء- صراخ شديد- بلادة ظاهرة- اضطرابات الغذاء- اضطرابات النوم- تأخر في النضج الجسدي (القزم)- استثارة شديدة. و تعتبر آثار الفقدان و الانفصال المبكر الأشد حدة عند الطفل أو الرضيع في هذه المرحلة.

- **2 إلى 6 سنوات:** تضاف إلى الأعراض المذكورة عند الرضيع الأعراض الجسمية الأليمة، سلوكات و انجازات حاملة للتكرار لاسيما في الرسومات أو اللعب، أعراض التجنب المخاوف المحددة، الحزن، المظاهر التفارقية (التفككية)، التشبث و صعوبة الانفصال، سلوكات نكوصية، الاحساس بالعار من هشاشتهم و ضعفهم، تأخر في تطور اللغة و التطور النفس- حركي، انسحاب و بكم، سلوكات عدوانية وميل الى الانتقام.